MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 21-11-97
Photo No. : 181

بلى، هذا لبنانك!

بقلم سمير قصير

ربما معه حق هذه المرة، العميد ريمون اده، عندما يوصي بتحويل ٢٢ تشرين الثاني من "عيد الاستقلال" الى "العيد الوطني". فالتسمية الاخيرة اقرب الى معنى الحدث التاريخي، مثلما بيّن ذلك المرحوم ادمون رباط، كما الى مقتضيات بناء الدولة الراهنة. لكن العميد اده بعيد عن هذه الهموم، وهنا مكمن الخطأ في تعليله ضرورة ابدال عبارة بأخرى. اذ ان لا شيء "مضحكا"، كما زعم، في استخدام عبارة "عيد الاستقلال"، ومهما تكن "الظروف التي يمر بها لبنان واللبنانيون".

ومن علق أسير احد ازدحامات السير الخانقة التي يتسبب بها التحضير للعيد لن يكون في اي حال من الاحوال مستعدا للضحك لأسابيع عديدة. بل لعله أميَل الى البكاء. واذا كان له ان يستعيد بعد ذلك قدرته على الضحك، فحسبنا انه لن يضحك الا على من لا يزال يخلط بين لبنان الطائف وفرنسا الاحتلال الالماني، بين باريس جاك شيراك ولندن ونستون تشرشل، بين التصريح المقاوم (من بعيد، بعيد...) وتمرد عملاق في حجم نيفول.

ليس لبنان بألف خير، كلنا يعرف. وليست سيادته مصونة، نستشعر ذلك يوميا، من حركة المطار الى مختلف أنماط الصفقات الاقتصادية – السياسية. ولعله يعيش تحت نظام "المحمية" (Protectorat) كالذي ساد في اجزاء عديدة من العالم الكولونيالي في اوائل القرن: تونس والمغرب الاقصى في ظل السيطرة الفرنسية، مصر ودويلات الخليج العربي تحت الهيمنة البريطانية، وكلها امثلة كان يستند فيها نظام المحمية الى معاهدة رسمية بين دولتين او سلطتين، وان لم تكن تسمى معاهدات أخوة كما في حالنا.

غير ان هذا الوضع تحديدا هو الذي يجب ان يمنع أي تلاعب وأي مزاح في مسألة الاستقلال وعيده. وهذا ما يجب ان يعرفه العميد قبل غيره، الا اذا كان يريد ان يعطي "الاحباط" مضمونا ترفيهيا: "هذا لم يعد لبناني أنا، وانظروا كم صار بشعا بعد ان تخلى عني". بلى، يا حضرة العميد، هذا لبنانك وانت تتحمل قسطا من المسؤولية عن بشاعته، فلو اخترت ان تعيش فيه او حتى ان تموت فيه ولأجله، لكنت خففت من تلك البشاعة. وربما كنت أزلت شيئا من التبعية التي تضحكك اليوم، وتبكينا نحن.

كفى تذرعا بالاوضاع وبالآخرين. اذا كان لبنان على

ما هو عليه اليوم، فلأن طاقمه السياسي متخلف، سواء كان في الحكم او في الخارج الباريسي، سواء جاء من الجمهورية الاولى (وهي التي يفضل العميد اعتبارها ثانية) او من الجمهورية الثانية (الثالثة في التقويم الادّوي). فنظام "الحماية" لا يلغي السياسة كما يشهد تاريخ حركات التحرر في عدد من الدول التي استُعمرت في ظل مثل هذا النظام او في ظل نظام الانتداب. وتكفي العودة هنا الى تاريخ "الكتلة الوطنية" في ... سوريا الانتدابية للتأكد من ان سلطة القوة تبقي مجالا لأنماط متعددة من النضال الهادفة الى الارتقاء بالبلد الى عتبة الاستقلال الناجز. ومن لا يريد الاستفادة من دروس التاريخ ما عليه الا ان يستدير نحو مادة الجغرافيا، ذلك انه سيجد في محيطنا المباشر ما يفضح ذهنية الاحباط والاستقالة السائدة عندنا. فهذا هو ياسر عرفات، الذي بات التشفي به الخبز اليومي للسياسي اللبناني المتوسط السائل عن رضى بردى، هذا هو ياسر عرفات اذن يظهر قدرة على التحرك والمناطحة و... الحكم الذاتي تفوق عشرات المرات مشاريع نوايا الاستقلالية التي قد يفكر فيها اشجع الرجال عندنا. مع العلم ان عرفات، ان تحجج بظروف اقليمية ودولية قاهرة، فانه لن يكون كانيا، لكن عرفات، والحق يقال، يملك سلاحا يفتقده سياسيو لبنان، أكانوا في الحكم ام في احدى المعارضات. انه، الى درجة من الذكاء السياسي لا يساويه فيها الا الرئيس الاسد والملك حسين على الارجح، يستطيع ان يتسلح بوحدة شعبه.

اذا كان لاقتراح العميد ابدال "عيد الاستقلال" بـ "العيد الوطني" من معنى، فانه يكمن هنا: في وحدة الشعب المرتجاة. فيوم ٢٢ تشرين الثاني لم يكن عيدا وطنيا، وخريف ١٩٤٣ لم يكن لحظة وطنية الا لأن الشعب اللبناني صرح وقتها عن رغبته بعيش مشترك في كنف دولة واحدة مستقلة ومتضامنة مع سوريا (وهذا ما ننساه احيانا كثيرة). وإنا كان ليوم ٢٢ تشرين الثاني أن يصبح او يعود "عيدا وطنيا"، فلأن ذلك سيعني تجديد تصريح الشعب اللبناني عن رغبته بعيش مشترك في كنف دولة واحدة متضامنة مع سوريا ومستقلة (وهذا ايضا ما ننساه احيانا كثيرة). اما اذا توافر ذلك، يضحي تفصيلا اذا سميناه "عيد الاستقلال" او "العيد الوطني".

أمد الله بعمر العميد ريمون اده حتى يكون بيننا يوم يصير عندنا الوقت لمناقشة مثل هذه التفاصيل، وهو الذي يعشق ترفها.

سمير قصير